

تاج العروس من جواهر القاموس

فإِنَّ زَهْرَهُمْ حَمَلُواهُ عَلَى الْكُلِّ . قُلْتُ : وَهَكَذَا فَسَّرَ أَبُو الْهَيْثَمِ الْآيَةَ .
 أَيْضاً . قَالَ ابْنُ سَيْدِهِ : وَلَيْسَ هَذَا عِنْدِي عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ اللُّغَةِ .
 مِنْ أَنْ النَّبْعُ فِي مَعْنَى الْكُلِّ . هَذَا نَقَضٌ وَلَا دَلِيلَ فِي هَذَا الْبَيْتِ .
 لِأَنَّ زَهْرَهُمْ إِنْ مَعْنَى بِنْعَضِ النَّفُوسِ نَفْسَهُ . قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ
 بْنُ يَحْيَى : أَجْمَعَ أَهْلُ النَّحْوِ عَلَى أَنَّ النَّبْعُ شَيْءٌ مِنْ أَشْيَاءِ أَوْ
 شَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا هَشَامًا فَإِنَّ زَهْرَهُ زَعَمَ أَنَّ قَوْلَ لَبِيدٍ : أَوْ يَعْتَلِقُ
 إِلْحَ فادَّعَى وَأَخْطَأَ أَنَّ النَّبْعُ هُنَا جَمْعٌ وَلَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عَمَلِهِ ؛
 وَإِنَّمَا أَرَادَ لَبِيدٌ بِنْعَضِ النَّفُوسِ نَفْسَهُ . قَالَ : وَقَوْلُهُ تَعَالَى :
 يُصِيبُكُمْ بَعْعُ الَّذِي يَعِدُّكُمْ " أَرَّهَ كَانَ وَعَدَهُمْ بِشَيْئَيْنِ عَذَابِ الدُّنْيَا
 وَعَذَابِ الْآخِرَةِ فَقَالَ : يُصِيبُكُمْ هَذَا الْعَذَابُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ بَعْعُ
 الْوَعْدَيْنِ مِنْ غَيْرِ أَنَّ نَفْسَى عَذَابِ الْآخِرَةِ . وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ فِي قَوْلِهِ :
 بَعْعُ الَّذِي يَعِدُّكُمْ " مِنْ لَطِيفِ الْمَسَائِلِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ إِذَا وَعَدَ وَعَدًا وَقَعَّ الْوَعْدُ بِأَسْرِهِ وَلَمْ يَقَعَّ بِنَعْبِهِ فَمِنْ أَيْنَ
 جازَ أَنْ يَقُولَ بَعْعُ الَّذِي يَعِدُّكُمْ وَحَقُّ اللَّفْظِ : كَلُّ الَّذِي
 يَعِدُّكُمْ وَهَذَا بَابٌ مِنَ النَّظَرِ يَذْهَبُ فِيهِ الْمُتَنَاطِرُ إِلَى الْإِزَامِ حُجَّتِهِ
 بِأَيْسَرِ مَا فِي الْأَمْرِ وَلَيْسَ هَذَا فِي مَعْنَى الْكُلِّ وَإِنَّمَا ذَكَرَ النَّبْعُ
 لِأَنَّ الْكُلَّ لِأَنَّ النَّبْعُ هُوَ الْكُلُّ . وَنَقَلَ الْمُصَنِّفُ فِي الْبَصَائِرِ عَنْ
 أَبِي عُبَيْدَةَ كَلَامَهُ السَّابِقَ إِلَّا أَنَّ زَهْرَهُ ذَكَرَ فِي اسْتِدْلَالِهِ قَوْلَهُ
 تَعَالَى : " وَلَا يُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْعُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ " أَيْ كَلُّ وَذَكَرَ
 قَوْلَ لَبِيدٍ أَيْضاً . قَالَ : هَذَا قُصُورٌ نَظَرَ مِنْهُ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ عَلَى
 أَرْبَعَةٍ أَضْرُبٍ : ضَرْبٍ فِي بَيَانِهِ مَفْسُودَةٌ فَلَا يَجُوزُ لِصَاحِبِ
 الشَّرِيعةِ بَيَانُهُ كَوَقْتِ الْقِيَامَةِ وَوَقْتِ الْمَوْتِ . وَضَرْبٍ مَعْقُولٍ يُمَكِّنُ
 لِلنَّاسِ إِدْرَاكُهُ مِنْ غَيْرِ نَبِيٍّ كَمَعْرِفَةِ الْوَقْتِ وَمَعْرِفَةِ خَلْقِ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ فَلَا يَلْزَمُ صَاحِبَ الشَّرْعِ أَنْ يُبَيِّنَ لِأَنَّ تَرَى أَنَّ أَهْلَ
 مَعْرِفَتِهِ عَلَى الْعُقُولِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ " قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ " وَقَوْلِهِ : " أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَائِكُوتِ السَّمَوَاتِ " وَضَرْبٍ يَجِبُ
 عَلَيْهِ بَيَانُهُ كَأَصُولِ الشَّرْعِيَّاتِ الْمُخْتَصَّةِ بِشَرْعِهِ . وَضَرْبٍ يُمَكِّنُ

الْوُقُوفُ عَلَيْهِ بِمَا يُبَيِّنُهُ صَاحِبُ الشَّرْحِ كَفُرُوعِ الْأَكْثَامِ . فَإِذَا
اختلفَ النَّاسُ فِي أَمْرٍ غَيْرِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالنَّبِيِِّّ بَيَانُهُ فَهُوَ
مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ يُبَيِّنَ وَيُخَيَّرَ أَنْ لَا يُبَيِّنَ حَسَبَ مَا يَقْتَضِيهِ
اجْتِهَادُهُ وَحِكْمَتُهُ . وَأَمَّا الشَّاعِرُ فَإِنَّهُ عِنْدَ نَفْسِهِ . وَالْمَعْنَى إِلَّا
أَنْ يَتَدَارَكَهُ الْمَوْتُ لَكِنْ عَرَّضَ وَلَمْ يُصَرِّحْ تَفَادِيًا مِنْ ذِكْرِ
مَوْتِ نَفْسِهِ فَتَأْمَلْ .

بغض